

رجاء جارودي (١٩١٣ - ٢٠١٢م)

فيلسوف حوار الحضارات ونقض الصهيونية

العدد (244) رمضان 1433 هـ • أغسطس 2012 م • HASSAD EL FIKR •

ودع العالم مفكراً وفيلسوفًا من طراز الباحثين عن الحقيقة والساعين إليها شرقًا وغربًا ...

إنه الفيلسوف الفرنسي المسلم رجاء جارودي الذي رحل يوم الجمعة ١٥ يونيو ٢٠١٢م عن عمر يناهز ٩٨ عاماً، بعد رحلة طويلة في عالم الفكر والسياسة استقرت في النهاية على شواطئ الإسلام الرحبة .. ليبدأ مشواراً جديداً في النضال الفكري والسياسي مدافعاً عن الإسلام وإنسانيته، وداحضًا للفكر الغربي المادي والفكر الصهيوني الاستعماري الاستيطاني.

رحل بعد أن أثرى المكتبة العربية والإسلامية والعالمية بعشرات المؤلفات التي ترجمت إلى عدد من اللغات تحمل بين صفحاتها رؤية موضوعية صادقة في التحول إلى الحقيقة وعدم تجاوزها، معلنًا أن الإسلام دين المستقبل ..

نبحر في فكره وفلسفته البعيدة في السطور التالية التي تجمع بين الطرح الموضوعي والرغبة في رد الجميل لهذا المفكر الذي واجه الأعاصير الصهيونية العاتية بسبب انتقاده لممارسات الدولة الصهيونية والتشكيك في المحرقة النازية لليهود!



إعداد:
أحمد حسن علي



بطاقة حياة

ولد جارودي في ١٧ يوليو ١٩١٣م بمارسيليا - بفرنسا، وتربى بين أب ملحد وأم بروتستانتية ينتميان لطبقة البرولتياريا الفرنسية، كان في بداية حياته يهوديًا، ثم أصبح بروتستانتيًا وهو في سن الرابعة عشرة من عمره.



وفي عام ١٩٣٣م انضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، كما ترأس جمعية الشبان المسيحيين البروتستانت في فرنسا، واعتبر جارودي زعيمًا للمثقفين الشيوعيين وأحد أهم فلاسفة الحزب للشيوعي الفرنسي الرسميين، وخصوصًا بعد تأليفه أحد أهم أعماله (النظرية المادية في المعرفة) عام ١٩٥٣م والتي أصبحت بعد ذلك مادة دراسية رئيسية للخلايا الشيوعية.

وخلال فترة انخراطه الرسمية في الحزب الشيوعي الفرنسي، ترك أكثر من مرة مكانه في السياسة كنائب في البرلمان (الجمعية الوطنية) عن منطقة السين، لاستكمال دراسته في الفلسفة ليحصل على الدكتوراه الثانية عن الحرية عام ١٩٥٤م، وقبل انكشاف جرائم الستالينية في المؤتمر العشرين بموسكو عام ١٩٥٦م عكف جارودي على فحص ونقد النظرية الستالينية، والتي رآها انحرافًا عن النظرية الماركسية، ومن وقتها تم النظر لجارودي في دوائر الحزب الشيوعي العليا باعتباره (طفل الحزب المضطرب فكريًا)!

وخاصة بعد سلسلة من الأعمال التي بدأ في تأليفها منذ منتصف الستينيات والتي حاول بها فتح نقاط اتفاق بين المسيحية والشيوعية، حيث أن (العدالة الاجتماعية) وهي الرسالة الأولى للشيوعية، وهي أيضًا الرسالة الأولى للأديان السماوية، فصب جام غضبه على الإلحاد الصارم داخل الحزب، والذي رأى أنه غير مبرر!

ولم تكن تلك إلا بداية معاركة الفاصلة ضد الحزب الشيوعي وأطره الجامدة التي لا تتوافق مع المعطيات الجديدة للعصر، ففي أغسطس ١٩٦٨م اجتاحت القوات السوفيتية تشيكوسلوفاكيا فقام جارودي بإدانة وانتقاد الاجتياح السوفيتي واعتبره استعمارًا بعيدًا تمامًا عن مبادئ الشيوعية، ووصف رئيس الحزب الشيوعي الفرنسي (بحفار القبور)! لتطبيعه مع الحكومة التشيكية العميلة للروس في اجتياحها لبلادها!

وبعد تلك الأحداث التي شكلت نقطة فاصلة ومفترق طرق في علاقة جارودي بالحزب الشيوعي، أصدر جارودي كتابين متعاقبين، وهما: (هل نستطيع أن نكون شيوعيين) عام ١٩٦٨م و(من أجل نموذج فرنسي للاشتراكية) مما جعل انفصاله عن الحزب حتميًا، وبالفعل تم فصله من الحزب الشيوعي الفرنسي عام ١٩٧٠م لمعارضته السياسات القمعية والاستعمارية للاتحاد السوفيتي، وعاد جارودي مرة أخرى إلى أحضان العقيدة المسيحية والتي عبر عنها في العديد من أعماله بعد ذلك، وتولى بعدها منصب مدير المعهد الدولي لحوار الثقافات.

وبعد دراسة متأملة لأفكار الإسلام وقيمه الخالدة، فجرَّ جارودي قنبلة جديدة في عام ١٩٨٠م حين أعلن المفكر السياسي والزعيم الشيوعي السابق اعتناقه الإسلام!

الذي تعرف عليه للمرة الأولى في الأسر النازي عام ١٩٤٢م، فقد قضت الأوامر بإطلاق النار عليه غير أن الحراس الجزائريين المسلمين رفضوا تنفيذ الأوامر لإيمانهم بأنه ليس من شرف المحارب أن يطلق الرجل المسلح النار على أعزل!

وكانت تلك هي البداية لتعرفه على الإسلام الذي أنقذ بمبادئه السمحة حياته من

الموت، وتم تهديده بالقتل في فرنسا إذا لم يتراجع عن إسلامه وأخيرًا وجد جارودي ضالته العقلية التي ظل يبحث عنها طويلاً وتنقل من أجلها وتحول من أكثر من مدرسة وأكثر من منظومة فكرية إلى أخرى.

يقول جارودي: (إن الحضارة الغربية بنيت على مفهوم خاطئ للإنسان، وأنه كان يبحث عن العديد من المعاني والقيم الإنسانية، مثل العدالة الاجتماعية، فلم يجدها في القيم الراسمالية والليبرالية الغربية... حيث وجد في الدين الحنيف فهمًا صحيحًا للإنسان وأن الإسلام ليس مجرد دين مختلف عن باقي الديانات فحسب بل إنه دين الله، ودين الفطرة التي خلق الله الناس عليها).

وبعد دخوله الإسلام سنة ١٩٨٠م أصدر كتابه (وعود الإسلام) الذي أرخ لمرحلة جديدة في أعمال جارودي، وأنشأ مؤسسة باسمه في أسبانيا عُدت متحفًا يحي ذكرى العصر الذهبي للإسلام، الذي أنار أوروبا في عصورها المظلمة.

المسيرة الفكرية لجارودي

تتبع الرحلة الفكرية الشائقة ومحطات التطور والتحولات المختلفة في حياة جارودي، تتيح لنا قراءة مثمرة ونقدًا خلاقًا (للحضارة الغربية الحديثة) والحكم عليها من شهادة أبرز أبنائها، والخارج من عباءة أنساقها الفكرية ورؤيتها للعالم وموقفها من الوجود الإنساني.

في كتابه (البديل) الصادر عام ١٩٧٢م نشهد (الإرهاصات الأولى لرفض المركزية الحضارية الغربية والدعوة للتعدد الثقافي والحضاري)، والبحث عن بديل عن هذا النموذج الذي أثبت



حاول جارودي فتح جسور (نقاط) اتفاق بين المسيحية والشيوعية حين رأى أن العدالة الاجتماعية وهي الرسالة الأولى للشيوعية هي أيضًا الرسالة الأولى للأديان السماوية ومنها المسيحية



فشله وعجزه عن الرقي بالإنسان وتحريره من الاستغلال رغم التطورات التقنية الهائلة التي شهدها من عصر النهضة - بداية ظهوره - إلى الآن.

فجارودي منذ البداية يوضح أن كتابه يتناول المستقبل المباشر الذي يمثل البعد الرئيسي للحاضر، وكذلك يتناول المستقبل البعيد الذي يتيح استباق الحاضر وتفهمه من أجل إبداع المستقبل، فغضب الشبيبة في كل مكان في العالم وتأسيسهم مجتمعات مضادة بقوانين غير مكتوبة وأعراف واختيارات مغايرة لقوانين النظام السائد تفصح عن مؤشرات هامة وتبشر بتحولات عميقة.

فالأسرة في أوروبا الصناعية، أفرغت من محتواها ولم تعد وحدة عمل كما في المجتمعات الزراعية أو الحرفية، ولم تعد مركز تقنية أو اخلاقية ولم تعد تمثل في نظر الشباب قيمة، ولم تعد بالأحرى سلطة .. ويدل على ذلك ارتفاع نسبة الطلاق بين الشبان، ومضاجعة المحارم، وممارسة الجنس خارج نطاق الأسرة التقليدي.

وكذلك المعرفة التي تقدم للشباب تخفي

• HASSAD EL FIKR • العدد (244) رمضان 1433 هـ • أغسطس 2012 م

الواقع بدلاً من أن تكشفه، ويتهم التعليم بوضعه الراهن بتدمير الشخصية بدلاً من أن يطورها إذ يهدف إلى دمج الطفل لإعداده لوظيفة في الإنتاج أو في الدولة .. ومن ناحية أخرى فإن هذا التعليم يتحاشى مشكلة الغايات، ويكرس فقط للحفاظ على الوضع القائم.

هذه الإدانة للوضع القائم وللحضارة بمجملها تفضي بالضرورة إلى نقد سياسي، يتمثل في وقوف الشبيبة خارج الأحزاب والتنظيمات السياسية المبنية على المبدأ الثنائي (مبدأ تفويض السلطة).

على اعتبار أن التنظيمات القائمة تسعى على اختلافها لتحقيق غاية واحدة وهي النمو الاقتصادي ورفع مستوى الاستهلاك، ويعتبر شعار الديمقراطية المباشرة رفضًا لاستلاب السلطة وثنائية الحكام والمحكومين، فإن هذا الرفض والتمرد من جانب الشبيبة، وهذا اليأس يتمثل في انتحار سبعة آلاف مراهق في فرنسا سنويًا!

ويزيح النقاب عن عمق أزمة الحضارة الحديثة ويساعدنا على إدراك ضرورة إعادة النظر الجذرية في نظامنا ومؤسساتنا وقيمنا وفي غايات مجتمعنا، ولتلافي هذه الكارثة طالب جارودي بإعادة بناء هذه المجتمعات على أسس مستمدة من الغايات الإنسانية، تراعي الجوانب المادية والروحية للتطور الإنساني، تغيير البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية القائمة وتغيير ضمائر الناس لتأهيلهم لتسيير أمورهم بأنفسهم، وقد جاءت في مراحل ثلاث:

أولاً: تغيير البنى .. لا رأسمالية ولا بيروقراطية تقنية ستالينية غياب الغائية الإنسانية في الاقتصاد والمجتمع أنتج بوجه عام مبدأ (الرأسمالية)، والتي لا تقتصر على كونها نظامًا اقتصاديًا بل نظامًا من الثقافة والحضارة يتم فيه قولبة البشر بحسب مقتضيات السوق!

ومثل هذا النظام يعجز عن حل أية مشكلة من المشكلات التي يثيرها (الاستغلال - الاحتكار) فلابد من وضع أسس النظام ذاتها موضع الاتهام، فلابد من تحرير العمل والأرض والأموال من الثنائيات التي تهدر الحياة بالانحلال على المدى البعيد.

ثانيًا - تغيير الضمائر .. لا (دين أفيون للشعب) ولا (إلحاد وضعي):

الشروط الموضوعية للتغيير ليست معطيات ميتافيزيقية ولكنها مشاريع إنسانية قابلة للتحويل والتجاوز، وبين هذا المشروع الفاعل وتلك الشروط الموضوعية تفاعل مستمر ووحدة وتجانس ضروريات بين الغايات والوسائل، ولا يمكن تغيير العالم على أساس روحي خالص (الوعظ المسيحي) ولا تقنية ثورية خالصة.

ثالثًا: تغير مشروع الحضارة .. ثورة ثقافية:

التجديد المطلوب لن يتأتى أساسًا من تحديث تقنيات العلم ولكن من تغيير البنى والمناهج والمضمون، بما يكفل المشاركة الواعية والخلاقة في القرارات، ويجب أن تقوم على ثلاثة أسس وهي:

- الإعلامية: بمعنى توافر المعلومات والمعارف المتراكمة عن التطور الإنساني.

- الجمالية: بمعنى التمرس على فن الاختراع من خلال الاحتكاك بأعمال الإنشاء وليس التأمل الميتافيزيقي المجرد.

- التحسبية: بمعنى التطلع إلى المستقبل واختراع هذا المستقبل وفرضية العمل التي ينبغي أن ينطلق منها البحث، هي أن التاريخ الإنساني لا يمكن أن يعامل على أنه جملة مواضيع أو أنه جملة من الذوات المنفصلة عن الواقع ولكن هو عالم من المشاريع التاريخية الجماعية في محاولة للتغلب على التناقضات الموضوعية لعصر ما.

فيلسوف الإنسان

وفي كتابه (نداء إلى الأحياء) تحرر جارودي بشكل نهائي من قيود المنظور الحضاري الغربي، فبدلاً من نقض المنظومة الغربية من داخلها (الكتاب السابق) نشهد قطعية كاملة مع تقاليد المنظور الغربي الذي ظل يطرح نفسه لقرون باعتباره النموذج الأمثل لما يجب أن تكون عليه شعوب العالم أجمع.

يرى جارودي أن الغربيين أصبحوا يعيشون في إطار نموذج للحياة غير جدير بالانتساب إليه، كما أنه متجه بالجميع نحو الكارثة على كافة المستويات نتيجة لسيادة نزعة وضعية - علموية متطرفة لا تتيح للبشر التعامل مع شيء سوى واقعهم المادي المباشر المحيط بهم مما يفضي إلى نظرات جزئية للأشياء بديلاً عن تلك الرؤية الكلية التي تترابط فيها الأشياء ليصبح لكل منها معنى ومغزى، إن الاغتراب في الغرب هو وليد افتقاد الحياة لأي معنى بعيد ذي قيمة.

ونتيجة لافتقاد الغايات الدينية والإنسانية في إطار هذا النموذج، جرى استخدام الوسائل بطريقة كارثية، مثال (الخيار النووي) بحيث لم يعد السلام ممكنًا إلا في ظل (توازن الرعب



الفكرة الرئيسية للدولة الصهيونية لا تكمن في جيشها فحسب بل في قدرتها على استغلال الرأي العام على النطاق العالمي



النووي)! فإن جارودي يرى أن عامة الوسائل الغربية لن تفلح في إخراج مجتمعات الغرب من أزمتها لأن مشكلة النمو، منظورًا إليها في جميع ابعادها الإنسانية، ليست مشكلة اقتصادية أو سياسية فحسب، ولكنها مشكلة بالجوهر دينية، فإن رهانها هو معنى وغايات حياتنا، إمكانية العيش على نحو آخر، أي القطيعة مع نظام بكامله من العلاقات الاجتماعية وتجاوزه (بتجاوز منظور القرون الأربعة الأخيرة، من التاريخ الغربي)!

وميز جارودي في هذا الكتاب ما بين (العلم) و(النزعة العلموية)، حيث يعرف العلم بانه (جملة الطرائق الرياضية والتجريبية التي امنت للإنسان سيطرة رائعة على الطبيعة)، بينما العلموية (جملة الخرافات والمعتقدات الباطلة التي تدعي الإفادة من شرعية هذه الطرائق من اجل أن نفسر أو ننفي باسمها جميع الأبعاد الأخرى للحياة، كالفن والحب والتضحية والإيمان).

ويهاجم جارودي العلوم الإنسانية الغربية القائمة على هذه الفلسفة العلموية ويرى أنها تعلمنا اشياء كثيرة عن الإنسان باستثناء ما هو الإنسان!

وبالتالي فتاريخ العلم الغربي هو في الواقع

تاريخ استلاب إنسانية الإنسان وفي النهاية فإن هذه المسلمات العلموية والتكنوقراطية أساس البربرية الغربية وجميع الرضوض والجروح التي تلحقها بالشعوب غير الغربية.

(ما يعد به الإسلام .. طوق النجاة للعالم)

وقبل عام من إشهار جارودي لإسلامه، أصدر كتابه (ما يعد به الإسلام) والذي أبرز فيه جارودي (وحدة النتاجات الثقافية والعلمية والأدبية في حضارة الإسلام نتيجة لتمثلها جميعًا لجوهر التصور الإسلامي القائم على التوحيد).

ويقول جارودي: (قام الإسلام بدور المنقذ لبعض الإمبراطوريات الكبرى المتهافتة من الفناء في القرن السابع الميلادي، بما يحمل من عقيدة رائجة وطريقة منظمة للحياة وروح جماعية مشتركة انطلقت من مكة للمدينة وشبه الجزيرة العربية، وراحت تشع بنورها وتجدد الثقافات الأخرى عبر ثلاث قارات من الهند إلى أسبانيا ومن آسيا الوسطى إلى قلب أفريقيا بعيدًا عن علاقات القوة.

وينبه جارودي إلى أن وحدانية الله هي الحقيقة الوحيدة، وذلك هو مضمون الشهادة التي هي الأساس المبدئي للإيمان، أما البديهية الثانية المسلم بها والقائلة بأن محمدًا رسول الله، فمرتبطة بالأولى لأن محمدًا هو الشاهد على كل حقائق الوحي الإلهي وآياته، وما القرآن الكريم إلا كلام الله يتوجه به إلى البشر التي أوحاها إلى نبيه ليثبت مبادئه في قلوبهم.

ومن ثم فكل شيء يمكن قياسه حسب اتصاله بالله، وما الإلحاد إلا تلك النظرة إلى الأشياء بمعزل عن أصولها وغاياتها ومعانيها.

ويشير جارودي إلى استحالة فهم ظاهرة انتشار الإسلام وإشعاعه على العالم دون الإشارة إلى ملمحين.

- أن التوحيد في جوهره ممارسة تدحض الفكرة القائلة بأن الإسلام يدعو إلى التسليم والجبرية، فالواقع أن التوحيد هو الأساس المتين للمسؤولية والحرية لدى الإنسان، وإنما يجعل الخضوع والتسليم محددًا أمام الله تعالى وهو ما يدعو إلى الجمع بين الفكر والعمل.

- أن الإسلام قد أضفى معنى جديدًا لدى الشعوب المفتوحة مفاده العودة إلى ملة إبراهيم الأصلية التي تدعو إلى إعادة النظر في قضايا الامتيازات الاجتماعية وثروات الناس وقيمهم للوصول إلى تحقيق العدل الإلهي.

- يقرن جارودي بجدية بين مسيرة الإسلام من جانب والوحدة بين الإيمان وبناء المجتمع المتعاون والتوحيد وممارساته العملية من جانب آخر.

- ويتتبع إنجازات الإسلام التاريخية على صعيد الاقتصاد والتشريع والسياسية، انطلاقًا من المبادئ الإسلامية الأساسية والتي تتمثل في:

- الحاكمية لله (الله وحده مالك كل شيء).

- التشريع الإلهي (الله وحده الذي يشرع).

- الله وحده الآمر والناهي.

وفي مجال الاقتصاد: ينظر الإسلام إلى الملكية باعتبارها وظيفة اجتماعية، وليست امتياز الفرد أو جماعة أو دولة، وإنما يقتصر دور الفرد على إدارة الملكية وتسيير أمورها، ومن ثم يرفض

• HASSAD EL FIKR • العدد (244) رمضان 1433 هـ • أغسطس 2012 م

الإسلام كنز المال، ويعطي الأولوية للعمل - مع الإقرار بحق الملكية الفردية سواء عن طريق الإرث أو العمل أو الهبة - ويشجع التجارة في إطار الهدي الإسلامي ويرفض الاحتكارات.

وقد مثلت الزكاة - كفرض وركن في الإسلام - صيغة متقدمة للضمان الاجتماعي تبناها الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنًا قبل أن تتوصل إليها بعض الدول الأوروبية في منتصف القرن العشرين.

ويمكن القول فيما يتعلق بالقضايا الاقتصادية التي أثارها الإسلام:

أ- الاقتصاد الإسلامي حسب تعاليم القرآن لا يهدف للتنمية فحسب بل إلى إقامة التوازن والانسجام.

ب- الاقتصاد الإسلامي يرمي إلى تحقيق غايات إنسانية - إلهية بعيدًا عن النظام الرأسمالي الفردي أو النظام الاشتراكي الجماعي.

أما في مجال التشريع: فالمبدأ الأساسي في الإسلام هو الحاكمية لله، ووحدة التشريع، فالله وحده المشرع بشكل يحدد واجبات وحقوق الإنسان على هدي من التعاليم السماوية، في حين ينظر الإسلام للإنسان على أنه جزء من كل أكبر وهو الجماعة، ويؤدي تنظيم العلاقة بين الجماعة والإنسان، وبين الله والجماعة إلى حفظ المجتمع من الوقوع في شكليات نظام التسلسل في المناصب وتمتع الإنسان بالمساواة والحرية كأحد نتائج هذه العلاقة.

لكن الأمر يحتاج - كما يقرر المؤلف - إلى التمييز الدقيق بين تعاليم القرآن، وبين تطبيقها العملي في البلاد الإسلامية.

وأما في مجال السياسة: فوجهة النظر



كان جارودي يبحث عن المعاني والقيم الإنسانية مثل العدالة الاجتماعية فلم يجدها في الرأسمالية والليبرالية الغربية إنما وجدها في الدين الحنيف الذي هو دين الله ودين الفطرة التي خلق الله الناس عليها



الإسلامية تذهب إلى أنه لا سلطان إلا لله، إلا أن المؤلف يتحفظ على مقولة أن القرآن يتضمن تشريعًا يصلح لكل زمان ومكان ويرى فيها تهديدًا لمستقبل الإسلام، ويرد عليها بالاستناد إلى القرآن ذاته الذي تضمن آيات تفيد تخصيص رسول لكل أمة يبلغها الرسالة بلغتها وثقافتها.

ويقرر المؤلف أن الإسلام لا يعرف الكهنوت أو الكنسية التي تتوب عن الله في الأمر والنهي، ومن ثم يحذر من الخلط بين المبادئ والأشكال والصيغ التي مارس فيها الناس هذه المبادئ وطبقوها في فترة تاريخية معينة.

وانطلاقًا من المساواة بين المؤمنين جميعًا في الإيمان يرفض الإسلام نظامًا ديمقراطياً برلمانيًا على النمط الغربي القائم على مبدأ الفردية، وفي المقابل يقيم نظامه على أساس المجتمع (الأمة) الذي يتضمن الإنسانية كلها في تاريخها ومشروعها الإنساني؛ حيث تتجاوز الصلة بين أفراده كل عرق أو لون أو صقع أو تاريخ وإنما تتوحد جميعًا في ظل رباط الإيمان المشترك بالوحدانية والشورى الناجمة عن الرابطة...

دعوة إلى حوار الثقافات

ويواصل جارودي بعد اعتناقه الإسلام دعواته

إلى الحوار بين الثقافات انطلاقا من قناعته بأن أزمة البشرية اليوم هي - قبل كل شيء - أزمة ثقافية روحية لا سياسية - اقتصادية ومن هذا المنطلق يرفض جارودي كل الحوارات الأخرى ويعتبرها مضيعة للوقت وعبثًا لا يفضي إلى شيء!

ويكشف عن مواطن ضعف كثيرة وغياب للموضوعية والندية بين الطرفين، فحوار (الشمال - الجنوب) يقوم على اساس جغرافي ثم ينطلق من فرضية وحتمية ثابتة تتمحور حول أن دول الشمال تمثل الغنى والوفرة، ودول الجنوب تمثل الفقر وطلب المعونة من الغرب دائمًا، مما يجعل الحوار حوارًا يدور بين الأغنياء والفقراء، والقوي والضعيف، ومن ثم يقوم على الاستعلاء والهيمنة والتبعية الذليلة في ظل النظام العالمي الحالي، مما يفقده أهم شروط الحوار!

مؤلفات جارودي

التحولات الفكرية والروحية الهامة في حياة جارودي مثلت المحاور الأساسية لمجمل إنتاجه الفلسفي والفكري والديني، والتي تشكل مراحل ثلاثة عبرها جارودي.

- المرحلة الأولى: (الماركسية الشيوعية):

وكتب عنها، الإنسانية والماركسية/ أسئلة إلى سارتر،كارل ماركس.

من أجل نموذج فرنسي للاشتراكية، فكر هيجل، ما هي الأخلاق الماركسية.

- المرحلة الثانية: (التمرد على الماركسية)، وكتب:

الحقيقة كلها/ نداء إلى الأحياء/ كيف أصبح الإنسان إنسانًا/ الطريق الجزائري نحو الاشتراكية/ من اللعنة وإلى الكنيسة إلى الحوار/ ماركسية القرن العشرين/ من أجل حوار بين الحضارات/ رقص الحياة/ ما يزال الوقت موجودًا بعد للحياة.

- المرحلة الثالثة: (المرحلة الإسلامية) وأهم ما كتب عنها:

ما يعد به الإسلام/ الإسلام دين المستقبل/ الإسلام وأزمة الغرب.

هل نحن بحاجة إلى الله، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية/ الأصوليات المعاصرة/ وعود الإسلام/ كلام رجل/ المسجد مرآة الإسلام/ فلسطين مهد الرسالات السماوية/ مستقبل المرأة/ جولتي وحيدًا حول هذا القرن/ الولايات المتحدة طليعة التدهور/الإرهاب الغربي/ البديل/ الإسلام في الغرب: قرطبة عاصمة الروح.

قالوا عنه

كان جارودي ظاهرة فكرية قلما كان لها نظير، متفردًا في تبنيه لأي أيديولوجيا آمن بها، متمسكًا بالمعاني الإنسانية الأولى المجردة، وهو ما جعل له خصومًا، وايضًا محبين، عرضوا لتلك التحولات، ورسموا من خلالها رؤيتهم له وموقفهم منه:

يقول الكاتب (أحمد نبيل خضر): قدم لنا جارودي صورة حية لأكثر التيارات الفلسفية المعاصرة، التي جاءت تعبيرًا عن أزمات العصر، من خلال كتابه: (نظرات حول الإنسان)، حيث عانى العالم بعد الحرب العالمية الثانية، من العديد من الصراعات، التي شكلت مأساة الإنسان المعاصر وحاصرته، والعلم الحديث، والحياة المعيشية.

يقول د. (أنور مغيث) أستاذ الفلسفة بجامعة حلوان: لم يكن ارتباط جارودي

بالماركسية مجرد ارتباط فكري، بل هو ارتباط سياسي إذ كان عضوًا بالحزب الاشتراكي الفرنسي، ووصل فيه إلى مراتب مرموقة، ولعل تلك النقطة هي إحدى نقاط الضعف التي يأخذها البعض على جارودي، وانعكست عليه سلبًا، إذ كان جارودي يعطي الأهمية الأكبر لانحيازاته السياسية، فكان يكتب دائمًا والسياسة في ذهنه!

قال الدكتور (علي مبروك)، أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة:

إن جارودي حينما أعلن إسلامه، تعامل البعض مع هذه القضية وكأنه مسلم أصولي، في حين أن حقيقة إسلامه لم تكن تختلف عما اتسمت به ماركسيته التي تميزت دائمًا بالبحث عن الإنسان، وهو ما يساعدنا في تلخيص شخصية هذا المفكر الكبير في كلمة واحدة وهي أنه (فيلسوف الإنسان).

ضد الصهيونية

من أهم المواقف التي جعلته رمزًا ثقافيًا بالعالم العربي هو: البيان الذي أصدره جارودي بجريدة: (لوموند) عام ١٩٨٢م بعنوان (معنى العدوان الإسرائيلي).

والذي أدان المذابح الإسرائيلية بلبنان (صابرا وشاتيلا) ليصبح بذلك مناهضًا أساسيًا ضد الصهيونية بأوروبا، وفي عام ١٩٩١م استنكر حرب الخليج ووصفها بالحرب الاستعمارية الجديدة، مما اعتبر خطوة واضحة في إعلان عدائه لأمريكا الاستعمارية.

ودفع جارودي ثمنًا أدبيًا وماديًا لآرائه السياسية وخاصة تشكيكه في (المحرقة النازية لليهود) أحد مقدسات الفكر الغربي، حيث اعتبر جارودي أن فكرة المحرقة هي من اختراع (تشيرشل) و(أيزنهاور) لتبرير احتلال ألمانيا



طالب جارودي بإعادة بناء المجتمعات الغربية المنهارة أخلاقيًا وقيميًا على أسس مستمدة من الغايات الإنسانية تراعي الجوانب المادية والروحية للتطور الإنساني



وتدميرها، كما شكك في أعداد اليهود الذين قتلوا على يد النازي، وذكر أن الاضطهاد لم يكن ضد اليهود فحسب، ولكنه كان ضد كل المعارضين، كما كان ضد الشيوعيين والعمال أكثر عنفًا من اليهود، وشكك أيضًا في وجود غرف للغاز بالأساس، مما أثار اللوبى الصهيوني بفرنسا الذي رفع ضده دعوى يتهمه فيها بمعاداة السامية.

وفي المحاكمة التي وصفها جارودي نفسه بأنها محاكمة للحرية لأنها كانت من أجل تكميم الأفواه، توجه جارودي إلى قاضيه مبرئًا ساحته من معاداة اليهودية كديانة، بل الصهيونية كفكر استعماري توسعي عنصري قائلاً: (قبل توجيه الاتهام لي ينبغي تعريف الصهيونية وتمييزها عن اليهودية، ولكن البعض يسعى على الدوام لإلصاق معاداة السامية بي كلما ذكرت كلمة صهيونية، ولابد أن أقول هنا أن أسوأ أعداء الإيمان اليهودي النبوي هو المنطق الوطني العرقي الاستعماري للصهيونية القبلية الناشئة عن العصبية الوطنية، وعن الشعور العرقي والسلوك الاستعماري لأوروبا خلال القرن التاسع عشر).

ورغم ذلك لم ينصت له القضاة وأدانته محكمة الاستئناف بباريس (بمعاداة السامية) وإنكار وقوع جرائم ضد الإنسانية والتشهير

العرقي والتحريض على الكراهية العرقية، وحكم عليه بالسجن لمدة ٩ أشهر، مع إيقاف التنفيذ وغرامة (١٦٠) ألف فرنك!

ومن وقتها أصبح جارودي شخصية غير مرحب بها في فرنسا، ولكنه على النقيض تحول إلى رمز ثقافي في الشرق الأوسط، وأصبح اختياره مهمًا للعالمين العربي والإسلامي، ففي يونيو ١٩٩٩م لقبه مئات المثقفين والأدباء بالشخصية الثقافية الأولى على مستوى العالم في القرن العشرين.

من كلماته

في كتاب (الإسلام دين المستقبل) يقول جارودي عن شمولية الإسلام:

(أظهر الإسلام شمولية كبرى في استيعابه لسائر الشعوب ذات الديانات المختلفة، فقد كان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد وكان في قبوله لأتباع هذه الديانات في داره منفتحًا على ثقافاتهم وحضاراتهم، والمثير للدهشة أنه في إطار توجهات الإسلام استطاع العرب آنذاك ليس فقط إعطاء إمكانية تعايش نماذج لهذه الحضارات، بل أيضًا إعطاء زخم قوي للإيمان الجديد: الإسلام، فقد تمكن المسلمون في ذلك الوقت من تقبل معظم الحضارات والثقافات الكبرى في الشرق وأفريقيا والغرب وكانت هذه قوة كبيرة وعظيمة له، وأعتقد أن هذا الانفتاح هو الذي جعل الإسلام قويًا ومنيعًا).

وفي مقالة له بعنوان: (مطلوب لوبي عربي بروح إسلامية) يقول:

(القوة الرئيسية للدولة الصهيونية لا تكمن في جيشها فحسب، بل في قدرتها على استغلال الرأي العام على النطاق العالمي.

وبفضل هذه القوة يستطيع الصهاينة تعبئة الملايين من الناس، كما يستطيعون ممارسة ضغط كبير على الحكومات لإضفاء صورة أسطورية على إسرائيل باعتبارهم (الشعب المختار) و(الوريث الشرعي لأرض الميعاد) أي فلسطين.

وإبرازهم بصورة الضحية الأساسية للاجتياح الهتلري وبذلك يكون لهم الحق في التعويض عن هذه الجريمة (متمثلاً في إطلاق يدهم بالكامل في الشرق الأوسط).

مصادر البحث

- مجلة حصاد الفكر: عدد١٢ شعبان ١٤١٣هـ
- فبراير ١٩٩٣م، ملف العدد: التحول في رؤية جارودي، ص ٧ - ٨ .
- جارودي .. الفيلسوف الذي كشف أساطير الصهيونية وأكاذيب الهولوكست، ص١٥ .
- جريدة (الشروق): عدد ١٢٣٨، ٢٢/٦/ ٢٠١٢م.
- جارودي من الإلحاد إلى الإيمان، ص ٦ - ٧ .
- جريدة (المسلمون): عدد ٦، سنة ٢٥،١/٩/ ٢٠١٢م.
- روجيه جارودي: رحيل طفل الحزب المضطرب فكريًا، ص١٤ .
- جريدة (أخبار الأدب): عدد٩٨٧، ٢٤/٦/ ٢٠١٢م.
- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، جارودي، دار الشروق، ١٩٩٨م.
- جولتي في العصر متوحداً، روجيه جارودي: ترجمة: د/ ذوقان قرقوط، دار الأنصار، ١٩٩٢م. ■